مؤتمر النجف

الذي انتهى بخضوع مجتهدي الشيعة لإمامة أبي بكر وعمر
وإعلانهم ذلك على منبر الكوفة في خطبة الجمعة التي حضرها
نادر شاه يوم ٢٦ شوال سنة ١١٥٦ هـ

مقتطف من مذكرات علامة العراق وعماد هذا المؤتمر

السيد عبد الله بن الحسين السويدي العباسي

المولود سنة ١١٠٤ هـ - والمتوفى سنة ١١٧٤ هـ

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وبعد فان جمهور المسلمين الأعظم - من صدر الاسلام الى الآن - يتألف من أهل السنة والجماعة ، وهم الذين يتلقون دينهم واحكامه عن كتاب الله كما فهمه الصحابة والتابعون ، ومن صحيح السنة النبوية التي محصها الأئمة والحفاظ والأمناء ودونوها في دواوين معتنى بها أهمها صحيحا البخاري ومسلم ، وموطأ مالك ، وسنن الترمذي والنسائي وابى داود ، ثم سنن ابن ماجه ومسند الامام أحمد وما هو بمنزلتها . وان الأحاديث الواردة في هذه الكتب تتفاوت ، إلا انها أصح ما نقلت أمة من تراث ماضيها وان أئمة هذا الشأن وضعوا قواعد وشروطا لرواية الحديث وتعيين درجاته ألفوا فيها كتباً صارت لأهميتها وسعتها علماً جليلا هو علم السنة ، والأمة العاملة بالأحكام المستنبطة من كتاب الله وحديث رسوله ومايقاس عليها وما اجمع عليه أئمتها مما لا يخالف شيئاً من نصوصها هم أهل السنة ، ولأنهم جمهور المسلمين وجماعتهم قيل لهم أهل السنة والجماعة .

وهنالك اقليات لم تتقيد بما تقيد به أهل السنة من احاديث رسول الله

ﷺ التي صحت عنه في كتب السنة التي اشرنا اليها ، لكنهم شاركوهم في كونهم من أهل القبلة وفي صلاتهم وحجهم ، واقرب هـذه الاقليات الى أهل السنة الزيدية ثم الاباضية ثم الشيعة الأثنا عشرية فأحمـدية لاهـور الذين لايقولون بنبوة المأفون الكذاب غلام احمد القادياني . اما القائلون بنبوته فهم أبعد من هؤلاء عن الايمان الاسلامي .

ويلي هؤلاء اقليات اخرى باطنية لاتعد نفسها من أهل القبلة ، إلا انها تنتسب الى الاسلام ولها في نصوصه وعقائده فهم خاص ، وفي مقـدمة هـؤلاء اسماعيلية البهرة ثم اسماعيلية اغا خان والنصيرية والدروز . وكان يمكن ان يعد في هؤلاء البابية والبهائية لولا انهم اعلنوا انفصالهم عن الاسلام ، وابتدعوا ديناً مستقلا زادوا به الديانات المعروفة اختلافا جديداً لم تكن في حاجة اليه ، فخرجوا بذلك حتى عن اسم الاسلام .

والفرق بين أهل السنة والشيعة راجع الى ان أهـل السنة يحصرون مصدر التشريع في النبي ﷺ ويرون ان العصمة له وحده فيما بلغ عن ربه وفيما يستلزمه كمال رسالته . اما الشيعة الاثنا عشرية فيدعون العصمة لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب وأحد عشر رجلا من سلالته ، وان لم يدعها علي لنفسه ، او أحد من بنيه له ولهم . ويرى الشيعة ان هـؤلاء الأثنى عشـر مصدر تشريع على خـلاف ما كان يؤمن به هؤلاء الصالحون رحمهم الله .

وفرق آخر جوهري بيننا وبين الشيعة هو ان التشريع الذي وصل الينا عن النبي ﷺ انما وصل عن طريق اصحابه الكرام البررة الصادقين ، وقد نقله عنهم العدول الصادقون الحافظون من التابعين ومن جاء بعدهم ، فالصحابة

هم حملة امانة التشريع عن النبي ﷺ ، وهم « خير أمة اخرجت للناس » كما قال الله عز وجل فيهم . وان الذين انفقوا منهم وقاتلوا مع النبي ﷺ قبل فتح مكة اعظم درجة عند الله من جميع خلق الله كما اثنى عليهم الله بذلك ، ومن اصدق من الله قيلا ؟ وقد وعدهم الله الحسنى هم وكل من تشرف بعدهم بصحبة خير خلقه ﷺ الى ان لقي ربه ، وكل مانحن فيه الآن من نعمة الاسلام وقيام الدول الاسلامية ووجود الأمم المحمدية هو من ثمرات جهاد الصحابة ونتائج اعمالهم ، ولولاهم لكنا وكان الشيعة ايضاً كفرة فجرة خاسرين ، فكل حسنة لكل مسلم على وجه الارض - سواء أكان سنياً أو زيدياً او اباضياً او شيعياً - فان للصحابة الذين جاهدوا لأدخال البلاد في الاسلام نصيباً من ثواب الله له على تلك الحسنة الى يوم القيامة .

هذه مكانة الصحابة عند الله ، وهذا جزاؤهم عنده ، وأهل السنة يدينون بذلك ، وكانوا جميعاً اخوانا متحابين ، وقد كان علي واخوانه ابو بكر وعمر وعثمان وابو عبيدة وسعد بن ابي وقاص وطلحة والزبير أتقى لله من ان يكون في قلب أحد منهم غل لأخوانه ، وكان في عنق علي بيعة لأخيه ابي بكر ، ثم لأخيه عمر ، ثم لأخيه عثمان ، وكان من شديد محبته لهم ان سمى ابناء له باسمائهم ، وكان من وثيق رابطته بهم ان صاهرهم وتعاون معهم وأمر ولديه وفلذتي كبده أن يكونا على باب عثمان لدفع الثوار الاشرار وبذل دمائهما فداء لدمه ، لولا ان عثمان نفسه امرهما وأمر الصحابة جميعاً ، - بصفته امير المؤمنين - ان يكفوا عن الدفاع حقناً منه لدماء المسلمين ، وتضييقاً لدائرة الفتنة وامعانا منه في اقامة الحجة ، ولأن النبي ﷺ بشره

بالشهادة والجنة

اما اعتقاد الشيعة بان الصحابة كفروا إلا خمسة وهم علي والمقداد وابو ذر وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر ، فهو الكفر . وهو الباطل

واما اعتقاد الشيعة بعصمة علي وأحد عشر شخصاً من بنيه وان الشريعة هي التي يرويها عنهم المتعصبون لهم وان عرفوا بالكذب والفساد فهو الكذب على الله ، وهو الفساد

فالنبي ﷺ هو وحده المعصوم فى هذه الأمة ولا معصوم فيها غيره وهو وحده ﷺ مصدر التشريع بما انزل الله عليه في الكتاب وما ثبت عنه في صحيح السنة (وما ينطق عن الهوى ، ان هو إلا وحي يوحى ، علمه شديد القوى) وهذا الوحي انقطع بالتحاقه ﷺ بالرفيق الأعلى فانقطع التشريع بذلك فلا تشريع بعده ولا معصوم غيره ، ولا حكم إلا لله وما قيس على احكام الله ، وما اجمع عليه أئمة الملة مما لايخالف حكما ثابتاً في كتاب الله أو سنة رسوله .

واصحاب رسول الله ﷺ هم حملة شريعته وامناؤها الذين أدوها الى الأمناء بعدهم ، فالصحابة كلهم عدول وان تفاوتوا في العلم والمنزلة (لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى) فمن زعم ان فيهم من لايصدق عليه وعد الله له بالحسنى فقد افترى على الله وكفر بمخالفته نص الكتاب وخرج بذلك من ربقة الاسلام . وكانوا كلهم اخوة متحابين (أشداء على الكفار رحماء بينهم) فمن زعم ان في قلب احد منهم لأخيه

ضغناً لا رحمة ، وإحنة وفساداً لا محبة وايثاراً ، فقد كذب القرآن وآذى رسول الله في اصحابه وأساء الى علي بتشويه ما كان عليه من سمو وصلاح وفضيلة

والخلافة نفسها كانت في نظرهم تكليفاً وعبئاً يحمله من يحمله منهم تديناً وتطوعاً . ولم تكن حقاً لأحد منهم قبل ان يتولاها ، ولا متعة له او مأكلة بعد ولايتها ، حتى يتنازعوا عليها او يتعادوا لأجلها . وقد قام بها الأربعة الراشدون سلام الله عليهم جميعاً رحمته ورضوانه ـ واحداً بعد واحد ـ فكانوا المثل الأعلى في النزاهة والأمانة والعفة والكفاف والانصاف وبعد النظر وايثار الخير والحق .

وكان علي محباً لجميع الصحابة ـ وفي مقدمتهم اخوانه الذين سبقوه في حمل اعباء الأمة ـ عارفا عظيم منزلة أهل المنزلة منهم عند الله ورسوله ، عاقداً قلبه على بيعة من بايعه منهم صدقاً لا نفاقا ، وهو أجل من ان ينافق فمن أدعى خلاف ذلك فقد ذم علياً واستحق منه البراءة والسخط ، ومن الله اللعنة والنار .

وسنة رسول الله ﷺ التي حملها اصحابه ومحصها الأئمة بعدهم وبينوا صحيحها من سقيمها ، ودلوا على الأمناء من رواتها وميزوهم عن الكذبة الاشرار والضعفة الذين لا كفاءة بهم لهذا الأمر ، هي السنة الصحيحة أي لا يعرف التاريخ امانة من امانات الماضي بذل صفوة البشر اقصى عنايتهم في صيانتها كما بذل علماء المسلمين في تمحيص سنة نبيهم وانقاذها من اهواء الكذبة المتعصبين للباطل ، المتشيعين للفتنة والفساد

وبعد وضوح هذه الفروق الاساسية بين طريقة أهل السنة وطريقة

الشيعة في النظر الى الاسلام وتعيين الأسس التي يقوم تشريعه عليها نحب ان يعلم القاريء ان أهل السنة يجتمعون مع الشيعة عليها في اسم الاسلام وفي الولاية له بالجملة ، وأهل السنة لا يسوؤهم ان يتعاون الفريقان فيما اتفقا عليه ، بشرط ان يعذر بعضهم بعضاً فيما اختلفوا فيه ، مادام متعذراً عدول أهل السنة عما عرفوه من الحق ، أو عدول الشيعة عما ألفوه من مبادئهم وطرائقهم . فالتعارف والتعاون على الخير من الخير . وكان كاتب هـذه السطور من دعاة هذا التعارف وهذا التعاون منذ اربعين سنة الى الآن ، ثم نجم اخيراً داع من الشيعة حضر الى مصر من ايران ليدعو الى ماسماه التقريب بين المذاهب الاسلامية ، ومراده من ذلك ان يحدث شيئاً جديداً مؤلفاً مما عند أهل السنة والشيعة فقط . اما الاباضية فلم يدعهم الى هـذا التقريب مع ان في مصر بعض علمائهم . ونحن أيقنا من اليوم الاول ان هذا التقريب بين مذهبي السنة والشيعة غير ممكن ولا معقول ثم هو يؤدي الى فساد ، لأن لكل من المذهبين اساساً يقوم عليه ويختلف اختلافا جوهريا عن الأساس الذي يقوم عليه المذهب الآخر . والطريقة التي يمكن بها التقريب هي ان يتنازل اتباع أحد المذهبين عن مذهبه ويلتحق باهـل المذهب الآخر . ولم نأنس من داعية هذا التقريب انه وجماعته مستعدون لهذا التنازل ، فلم يبق الا أن يطمع في تنازل أهل السنة عن مذهبهم ، أو تكوين مذهب ثالث جديد مؤلفاً من بعض ماعند هؤلاء وبعض ما عند هؤلاء ، ولا ينتظر بعد ذلك ان يرضى به أهل السنة ولا الشيعة فيكون فساداً جديداً في الاسلام .

والكتاب الذي نقدمه الآن للقراء هو حكاية للتقريب على طريقة تنازل أحد الفريقين عن أصوله فان مجتهدي الشيعة من الايرانيين وعلماء النجف اجتمعوا في يوم الخميس ٢٥ شوال سنة ١١٥٦ بمحضر من علماء أهل السنة والجماعة في اردلان والافغان وماوراء النهر (بخاري وما اليها) برئاسة علامة العراق السيد عبدالله السويدي كاتب هذه الواقعة في كتابنا هذا، وكان اجتماعهم تحت المسقف الذي وراء الضريح المنسوب الى الامام علي كرم الله وجهه، واجتمع للاستماع لما يقع في هذا المؤتمر خلائق لا يحصر عددهم إلا الله من العجم والعرب والتركستان ممن يتألف منهم جيش نادر شاه ومن سكان هذه الجهات، وكان نادر شاه - وهو اعظم ملوك ايران في العصور الاخيرة - يراقب اعمال المؤتمر. فقرر علماء الشيعة ومجتهدوهم جميعاً بلا استثناء - وعلى رأسهم عظيمهم الديني الملا باشي - انهم ينزلون على مذهب أهل السنة فى الصحابة، ويرفعون كل محدثات الخبيث الشاه اسماعيل الصفوي، ويعترفون بان اتفاق الصحابة عند وفاة النبي ﷺ انما كان على افضلهم واخيرهم واعلمهم ابي بكر الصديق، وان الامام علياً بايعه كما بايعه سائر الصحابة، واجماعهم حجة قطيعة. ثم عهد ابو بكر لعمر فبايعه الصحابة والامام علي معهم، ثم اتفق رأيهم على عثمان، ووليها بعده علي، وان فضلهم وخلافتهم على ذلك الترتيب فمن سب أو قال خلاف ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين. وقد وضعوا جميعاً اختامهم على المحضر الرسمي لهذا المؤتمر.

فهذا العمل الذي قام به مجتهدوا الشيعة وعلماؤهم سنة ١١٥٦ في محضر عام يصح ان يسمى (تقريباً) لأنه ازال (المكفرات) التي كان يفترق بها

الشيعة عن أهل السنة افتراقا اساسياً

اما الدعوة الجديدة المريبة الى (التقريب) بين مذهبين مختلفين في الأسس التي قام كل منهما عليها لمآرب يظهر ان لبعض الجهات الدبلوماسية علاقة تشجيع عليها، وبطرق سخيفة لا تنطبق على علم ولا على شرع، فانها جديرة بان ترفض من أهل السنة ومن الشيعة على السواء لما ينتج عنها من عبث بالمذهبين قد يبلغ الى ان يكون منه مذهب ثالث تزداد به الفرقة بين المسلمين، وقد سمعنا ان مجتهد الشيعة في الشام السيد محسن الأمين أشد انكاراً لهذا التقريب، والى الآن لم يكتب في تأييد ذلك إلا افراد من الشيعة لا يمثلون علماءهم الموثوق بهم

وكتاب المؤتمر الذي نقدمه بعد هذه المقدمة مكتوب بقلم رئيسه السيد عبدالله السويدي، وكان قد قد نشر في سنة ١٣٢٣ بعنوان (الحجج القطعية لأتفاق الفرق الاسلامية) بمطبعة السعادة بالقاهرة، إلا ان انتشاره كان محدوداً وفي نطاق ضيق، ورأيت اكثر اهل العلم لم يطلع عليه، ولا سبيل الى الحصول على نسخ منه، فدعاني ذلك الى اعادة نشره لمناسبة فتنة التقريب المريب التي فشلت ولله الحمد زد على ذلك ان (مؤتمر النجف) كان الأول من نوعه في المجتمع الاسلامي على ما وصل اليه علمي

والسيد عبدالله السويدي - رئيس هذا المؤتمر، وكاتب هذا الكتاب- هو ابو البركات ابن السيد حسين بن مرعي بن ناصر الدين، وأسرة السويدي احدى الاسر العظيمة الكريمة في بغداد، وهي من سلالة البيت العباسي الذي اضطلع بامر الخلافة الاسلامية زمناً طويلا

ولد السيد عبدالله سنة ١١٠٤ وتوفى سنة ١١٧٠، وكان عند رياسته

هذا المؤتمر في الثانية والخمسين من عمره ، اخذ العلم عن احمد بن ابى القاسم المدائني المغربي وعمه السيد احمد بن مرعي السويدي والشيخ سلطان الجبوري ومحمد بن عقيلة المكي والشيخ علي الانصاري الاحسائي وغيرهم من علماء العراق والحجاز والشام ، وقد امتدحه السيد محمود شكري الآلوسي بانه « شيخ البسيطة على الاطلاق وزين الشريعة بالأجماع والاتفاق » وله من المؤلفات شرح جليل على صحيح الامام البخاري ، وكتاب المحاكمة بين الدماميني والشمني فيما كتباه على مغنى اللبيب ، ورشف الضرب ، والنفحة المسكية ، والامثال السائرة ، وشرح دلائل الخيرات ، وكتاب رحلته المكية الذى اثبت فيه ما نقلناه في هذا الكتاب عن مؤتمر النجف ، وقد حج ذلك العام شكراً لله على ما اتم على يده من اقناع نادر شاه وجماهير الشيعة بمنع سب اصحاب رسول الله ﷺ

والله ولي الحق والخير واهلهما ، والحمد لله رب العالمين

محب الدين الخطيب

مؤتمر النجف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـــد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على رسوله سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين * وعلى آله واصحابه الطاهرين

اما بعد، لما يسر الله لي نصرة الشريعة الغراء، وردع اهـــل البدع والاغراء عزمت على حج بيت الله الحرام، شكراً له على ما وفقني من نيـــل المرام، وما به اصلاح كافة اهل الاسلام، واجراء الحق على يدي، واخماد نار الباطل بمباحثتي وارجاع الشيعة عما هم عليه من سب الصحابة وتكفيرهم وادعائهم الفضل والخلافة لعلي بن ابي طالب (رض) وتجويزهم المتعة والمسح على الرجلين، وغير ذلك من قبائحهم وبدعهم وضلالتهم المشهورة المتواترة عنهم

وقصة ذلك ـ باختصار ـ ان مملكة العجم لما اضمحلت، وملك الافغان دار مملكتهم اصفهان (١) وملك آل عـــثمان ـ أيد الله بالتوفيق دولتهم ـ بعض البلدان، وذلك بعد قتل الافغان شاه حسـين، فظهر ابنـه طهماسب ليأخذ بالثأر ويكشف العار، فجمع من حوله من الاعاجم، فاجتمع عليـه خلق كثير. ومن جملة من انضم اليه نادر شاه، وكان طهماسب قليل الفـكر والاهتمام بامور الرعية، منهمكا بشرب الخمر، فتقرب اليه نادر الى ان

(١) وكان ذلك فى سنة ١١٣٥ هـ على يد الامير محمود الافغاني من قبيلة كلزاني، وهو ابن الامير أويس، وأصلهم من قندهار. انظر ترجمته في (قاموس الاعلام) لشمس الدين سامي بك ص٤٢٢٢

صار اعتماد دولته (١) وسلمه جميع اموره فشرع نادر هذا في رد الممالك فاخذ اصفهان من يد الافغان وفرقهم شـذر مذر ، فلقب بطهماسب قلي ، ومعناه : عبد طهماسب ، وغلب عليه هـذا اللقب الى انه لا يـكاد يعرف اسمه الاول ، ثم ثنى عنان عـزمه نحو الممالك التي بيد آل عثمان يخلصها من ايديهم ، وجاء فى عسكر عظيم ليحاصر بغداد ، والوالي فيها الوزير الكبير والدستور المشير ، عضد الدولة العثمانية ونظام المملـكة الخاقانيه الوزير بن الوزير احمد باشا بن المرحوم حسن باشا ولم يكن الوزير المشار اليه مأموراً بقتال هذا الباغي الخارجي ؛ بل كان مأموراً بحفظ داخل القلعة ، وانه لو وقعت عمامته خارج السور لا يخرج الى اخذها وكان معه من الوزراء ثلاثة للمحافظة : قره مصطفى باشا ، وصارى مصطفى باشا وجمال أوغلي أحمد باشا لحاصر هذا الباغي بغداد ثمانية اشهر حتى نفد الزاد واكلوا لحوم الخيـل والحمير بل والسنانير والكلاب . فدفعه الله عن بغـداد وسلمها منه ، وذلك ان آل عثمان جهزوا عليه عسكراً ، ورئيس العـسكر طوپال عثمان باشـا ، فتوجه نحو بغداد وهزم جنـود الاعجام حتى طهماسب قلي معهم وكسرهم لكن بعد قتال شديد . ثم بعد كسره وهزيمتة جاء ثانياً وحاصرها والوزير الوالي احمد باشا ايضاً . فنجاها الله تعالى منه . ثم انه توجـه نحو الروم الى ارض ارزن روم فنجاها الله منه . ولما رجع الى صحراء مغان بايعه الاعجام على السلطنة بتدبير منه ، وكان تاريخ المبايعة (الخير فيما وقع) سنة ١١٤٨ ومن لم يرض بيعته قلب التاريخ المذكور وقال (لا خير فيما وقـع) وهو ايضاً عين التاريخ الاول . ثم انه توجه نحو الهند ، ولم يزل يمر في تلك البلاد الى

(١) أي وزيره ، وكان من اصطلاحهم ان يلقبوا الوزير بلقب (اعتماد الدولة)

ان وصل الى جهان آباد كرسي مملكة الهند فضبطها بعد قتال كثير ، ثم انه صالح سلطانها شاه محمد وأخذ من الهند اموالا كثيرة لا تعد ولا تحصى ورتب على شاه محمد كل عام ان يرسل خزينة من الاموال معلومة الأجناس والعدد ، فارتحل من الهند وتوجه نحو تركستان واستولى على بلخ وبخاري والحاصل ان الافغان والتركستان وجميع اهل ايران اطاعوه ، وتزعم العجم ان الهند - شاههم شاه محمد - بايعوه ، وان الشاه محمد وكيل عنه ، ولأجل ذلك لقب نفسه شاهنشاه وامر ان لا يسمى إلا بهذا الاسم ، وأوعد من يطلق عليه غير هذا الاسم . ثم توجه نحو داغستان يريد اللزك ، وهو في هذه المدة لا تنقطع سفراؤه ورسله عن الدولة العثمانية ، فتارة يطلب منهم حد الرها الى ماوراء عبادان ، وان هذا ملكه بحسب الأرث عن تيمور الذي يدعى انه وارثه ويطلب منهم ايضاً التصديق بان المذهب الشيعي الذي هم عليه الآن هو مذهب جعفر الصادق وانه حق ! ويقولون : مذاهب الاسلام خمسة ، ويطلب ان يكون له ركن خامس في الكعبة ! ويطلب ان يكون هو الذي يباشر طريق الحج من طريق زبيدة فيصلح البرك والآبار وغير ذلك ، ويطلب ان يكون أمير الحاج ، واذا ذهب من طريق العراق يذهب واحد من طرفه بالناس ويرجع ... ولم يزل هذا دأبه وديدنه وهو يسعى في الارض بالفساد حتى اخرب اكثر اراضي العراقين ، وظهر الخلل فيهـا الى عام ١١٥٦ فجاء الى عراق العرب بجحافل متواترة وجنود متوفرة عدد الرمل والحصى ، وبث سراياه وعساكره في تلك الاراضي ، فأبقى لحصار بغداد نحو سبعين الفا وأرسل لحصار البصرة نحو تسعين الفا ، فحاصروها مدة ستة اشهر إلا ان البصرة ضاربوها بالطوب (أي المدفع) والقنابر والبنادق ،

اما بغداد فانهم كانوا عنها على نحو فرسخ ، وماذلك الا بتدبير واليها الوزير الكبير احمد باشا . واما نادر شاه وباقي عسكره فتوجه الى شهرزور فاطاعه اهلها وكذلك عشائر الاكراد والاعراب ، ثم توجه الى قلعة كركوك فحاصرها ثمانية ايام ضرب عليها في هذه المرة عشرين الف طوب ومثلها قنابر فسلموا واطاعوه ، ثم توجه الى اربل فسلم اهلها واطاعوه ، ثم توجه الى الموصل - وكان معه من العسكر نحو مائتي الف مقاتل - فرمى عليها في خلال سبعة ايام نحو اربعين الف طوب ومثلها قنابر ، فسلموا الامور لمدبرها وهو الله تعالى ، ثم حفر لغوماً وملأها بارودا ورصاصاً واشعلها بالنار فكانت وبالا عليه ، فلما علم انه لا يحصل من الموصل على طائل ارتحل عنها وتوجه بعسكره الى بغداد ، فجاء ونزل في قصبة سيدنا موسى بن جعفر (١) فزاره وزار محمداً الجواد ، ثم عبر دجلة في قارب وزار الامام أبا حنيفة (٢) ولم تزل الرسل تختلف بينه وبين احمد باشا الى ان رفع مطالبة بالأقرار بصحة مذهب الشيعة والتصديق بانه مذهب جعفر الصادق ، ثم توجه الى النجف لزيارة الامام علي بن ابي طالب . وليرى القبة التي أمر بأن تبنى بالذهب

فبينما انا جالس قبيل المغرب من يوم الأحد الحادي والعشرين من شوال إذ جاء رسول الوزير احمد باشا يدعوني اليه . فذهبت بعد صلاة المغرب ودخلت دار الحكم فخرج الي بعض ندمائه وسماره (احمد اغا) فقال :

- أتدري لم طلبك ؟

---

(١) وتسمى الآن (الكاظمية)

(٢) ويسمى موضع قبره الآن (الاعظمية)

قلت : لا

قال : ان الباشا يريد ان يرسلك الى الشاه نادر

فقلت : ولم ذلك ؟

قال : انه (يعني نادر شاه) يريد عالما يبحث مع علماء العجم في شأن مذهب الشيعه ويقيم الدلائل على بطلانه والعجم يقيمون الدلائل على صحته فان غلب عالمنا يجب ان يقر ويصدق بالمذهب الخامس

فلما قرع سمعي هذا الكلام وقف شعري وارتعدت فرائصي وقلت :

- يا احمد اغا ، ان تعلم ان الروافض أهل عناد ومكابرة فكيف يسلمون لما اقول ؟ لاسيما وهم في شوكتهم وكثرة عددهم ، وهـذا الشاه ظالم غشوم فكيف اتجاسر على اقامة الدليل على بطلان مذهبه وتسفيه رأيه ؟ وكيف تحصل المباحثة معهم وهم ينكرون كل حديث عندنا ، فلا يقولون بصحة الكتب الستة ولا غيرها ، وكل آية احتج بها يؤولونها ويقولون : الدليل اذا تطرقه الاحتمال يبطل به الاستدلال ، كما انهم يقولون : شرط الدليل ان يتفق عليـه الخصمان ، على ان الامـور الاجتهادية تفنيد الظن ، فكيف اثبت لهم جواز المسح على الخفـين وهو قـد ثبت بالسنة ؟ فان قلت : روى حديث المسح على الخفين نحو سبعين صحابياً منهم الامام علي ، قالوا : عندنا ثبت عدم جواز المسح برواية اكثر من مائة صحابي منهم ابو بكر وعمر ، فان قلت : ان هذه الاحادبث التي توردونها في عدم صحة المسح موضوعـة مفتراة ، قالوا : كذلك الاحاديث التي توردونها في صحة المسح موضوعة . فما هو جوابكم هو جوابنا . فكيف يلزمون بمثل هذه الاحاديث ؟ فارجو من جناب الوزير ان يرفع هذه المحنة عني ، وليرسل المفتي الحنفي او المفـــتي

الشافعي ، فانهما الأنسب في مثل هذه الحادثة

فقال احمد أغا : هذا أمر لايمكن ، وجناب الباشا اختارك لذلك فما يسعك سوى الامتثال فلا تحرك لسانك بخلاف مراده

قال السويدي : ثم اجتمعت بالوزير احمد باشا صبيحة تلك الليلة فتذاكر معي بخصوص هذا الأمر كثيراً وقال :

- اسأل الله تعالى ان يقوي حجتك ، ويطلق بالصواب لسانك وانت مخير بين المباحثة وتركها . ولكن لا تترك البحث بالكلية ، بل أورد بعض الابحاث في خلال الصحبة بالمناسبة ليعلم العجم انك ذو علم وان رأيت منهم الانصاف ، وانهم يريدون اظهار الصواب فابحث معهم ، واياك ان تسلم لهم

ثم قال : ان الشاه في النجف واريدك ان تكون عنده صبيحة يوم الاربعاء

واتى لي بكسوة فاخرة ، ودابة ، وخادم ، وارسل معي بعض خدام ركابه ، وواجهنا مع رسل العجم الذين جاؤا في طلبنا . فخرجنا يوم الاثنين قبيل العصر لأثنتين وعشرين خلون من شوال ، فلم ازل في الطريق أصور الدلائل من الطرفين واخيل الأجوبة اذا وقع اعتراض . ولم يزل هذا دأبي وديدني ، لا فكر لي إلا في تصوير الدلائل ودفع الشبه ، حتى اني صورت اكثر من مائة دليل ، وعلى كل دليل جعلت جوابا او جوابين او ثلاثة على حسب الشبه ومظنتها . وحصل لي في الطريق ضيق ، حتى صار بولي دماً عبيطا فدخلنا حلة دبيس بن مزيد - وهي إذ ذاك في يد الاعجام - فلقيت فيها بعض أهل السنة والجماعة ، فاخبروني بان الشاه جمع لهذه المسألة كل مفت في بلاده ، وقد بلغوا الآن سبعين مفتياً كلهم روافض ، فلما طرق سمعي ذلك

حوقلت واسترجعت (١) وزورت في نفسي كلاماً وقلت : ان زعمت اني لست بمأمور بالمباحثة أجد نفسي لاتطيب بذلك ، وان باحثتهم اخشى ان ينقلوا للشاه خلاف مايقع ، فعزم رأيي وجزم فكري باني لا اباحثهم إلا بحضور الشاه ، واقول له : ان مباحثتي تحتاج الى حكم عالم لا يكون سنياً لئلا يتهم بانه يريد مناصرتي ، ولا شيعياً لئلا يتهم بانه يريد مناصرتهم ، فنحتاج حينئذ الى عالم اما يهودي او نصراني او غير ذلك ممن لايكون سنياً ولا شيعياً ، واقول له انا قد رضينا بك ، وانت الحكم بيننا والله تعالى سائلك يوم القيامة فاسمع مقالنا لكي يظهر لك الحق

ثم اني خيلت لو مال رأيه اليهم ، اخاصمه وأكالمه ولو ادى ذلك الى قتلى هذا كله اجريته في مخيلتي

فخرجنا من الحلة المذكورة وقت العشاء الاخيرة ليلة الاربعاء المعهودة وكانت ليلة كثيرة الدث والضباب (٢) لايبصر الانسان يده ، وهي أشد وابرد من الليلة التي قال فيها الشاعر :

في ليلة من جمادي ذات اندية   لا يبصر الكلب في ارجائها الطنبا

فلم نزل نسير تلك الليلة الى ان جئنا (المشهد) المنسوب الى ذي الكفل على نبينا وعليه الصلاة والسلام - وهو نصف الطريق بين الحلة والنجف - فنزلنا خارج البناء واسترحنا قليلا ، وسرينا ، وصلينا الفجر عند بئر دندان ، فلم نشعر الا والبريد (٣) يعدو عدواً شديداً ، فقال لي :

---

(١) اي : قلت « لاحول ولا قوة الا بالله ، انا لله وانا اليه راجعون »

(٢) الدث : اضعف المطر واخفه . قال اعرابي : امطرتنا السماء بدث لايرضي الحاضر ويؤذي المسافر

(٣) رسول الشاه

ـ اسرع فان الشاه يدعوك في هذا الوقت

وكانت المسافة بيني وبين مخيم الشاه فرسخين ، فقلت للبريد :

ـ وكيف عادة الشاه اذا ارسل اليه رسول من بعض الملوك ، ايطلبه كطلبي هذا من الطريق ، ام يبقى مدة ثم يطلبه ؟

قال : ماطلب احداً غيرك من الطريق ولا طلب سواك

فتحركت السوداء ، وقلت في نفسي ماطلبك الشاه مستعجلا إلا ليلجئك على الاقرار والتصديق بمذهب الامامية ، فأولا يرغبك في الاموال فان اجبته والا اكرهك على ذلك ، فما رأيك ؟ فخرجت على اني اقول الحق ولو كان فيه تلف نفسي ، ولا يميلني ترغيب ، ولا يزعجني ترهيب . وقلت : ان الاسلام وقف يوم توفى رسول الله ﷺ فمشي بسبب ابى بكر الصديق (رض) ووقف ثانياً في محنة القول بخلق القران ، فدرج بسبب احمد بن حنبل رحمه الله . وفي هذا اليوم وقف الاسلام ثالثاً فان توقفت وقف وقوفا ابديا (نعوذ بالله من ذلك) وان درجت درج درجاً سرمديا ، ووقوفه ودرجه بسبب وقوف اهله ودرجهم . ولا ريب ان اهل تلك الاطراف لهم بهذا الفقير حسن ظن فيعتقدون بي : ان خيراً فخير ، وان شراً فشر ، فجزمت نيتي وحسنت طويتي ووطنت نفسي على الموت حتى استسهله وقلت : آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره من الله تعالى ، اشهد أن لا إله إلا الله واشهد ان محمداً عبده ورسوله . وسقت دابتي وأنا اكرر الشهادتين ، فتراءى لي علمان كبيران رفيعان كالنخلة السحوق فسألت عنهما ، فقيل لي : انهما علما الشاه يغرزهما ليعلم اكابر الجنود كيفية نزولهم في المخيم ، فمنهم من ينزل عن يمين

العلمـين ومنهم من ينزل عن شمالها ... الى غير ذلك من الاوضاع ، فسرنا حتى رأينا الخيام ، وخيمته على سبعة اعمدة كبار رفيعة ، فجئنا الى محل يعبر عنه عندهم بالـ (كشك خانه) وهي عبارة عن خيام متقابلة ، في كل طرف خمس عشرة خيمة على هيئة القبة التي لها ايوان ، لكن ذلك بلا عمد وبين رأس الخيام مما يلي خيمة الشاه رواق متصل وفي وسطه باب عليه سجاف ، ففي الخيام التي عن اليمين نحو اربعة آلاف بنادقي ليلا ونهاراً يحرسون ، والتي عن الشمال فارغة فيها كراسي منصوبة لا غير ، فلما دنوت الى الكشك خانه نزلت ، فخرج لأستقبالي رجل ، فرحب بي ، واكرمني ولم يزل يسألني عن الباشا وعن خواص اتباعه ، وانا اتعجب من كثرة معرفته باتباع الباشا ، فلما عرف ذلك مني قال :

ـ كأنك لا تعرفني !

قلت : ـ نعم

فقال : ـ انا عبدالكريم بيك ، خدمت في باب احمد باشا مدة ، وفى هذه الايام ارسلت من طرف الدولة الايرانية الى الدولة العثمانية إيلجيا (سفيراً)

فبينما هو يحدثني ؛ اذا نحن بتسعة رجال اقبلوا ، فلما وقع نظره عليهم قام على قدميه ، فسلموا علي ، فرددت عليهم وانا جالس لا اعرفهم ، فشرع عبدالكريم يعرفهم لي واحداً بعد واحد فقال لي :

ـ هذا معيار الممالك حسن خان ، وهذا مصطفى خان ، وهذا نظر علي خان ، وهذا ميرزا كافي ...

فلما سمعت بذكر (معيار الممالك) قمت على قدمي فصافحني هو ومن

معه ورحبوا بي . ومعيار الممالك هو وزير الشاه ، كرجي الأصل من موالى شاه حسين

ثم قالوا لي : ـ تفضل لملاقاة الشاه

فرفعوا السجف التي وسط الرواق فبان وراءه رواق آخــر ، بينهما فسحة ثلاثة اذرع ، فاوقفوني هناك وقالوا :

ـ اذا وقفنا قف ، واذا مشينا أمش !

فاخذنا ذات اليسار فانتهى الرواق واذا ببرقع واسع يحيط به رواق يرى من البعد وفيه من الخيام كثير لنسائه وحـرمه ، فنظرت الى خيمة الشاه ، واذا هو عني مقدار غلوة سهم ، جالس على كرسي عال . فلما وقـع نظره علي صاح بأعلى صوته :

ـ مرحباً بعبدالله افندي ! اخبرني احمد خان (يعني احمـد باشا) يقول : اني ارسلت لك عبدالله افندي ...

ثم قال لي :

ـ تقدم !

فتقدمت مثل الأول ، ووقفت ولم يزل يقول لي (تقــدم !) وانا اتقدم خطا صغيراً حتى صرت منه قريباً نحو خمسة اذرع ، فرأيته رجـلا طويلا كما يعلم من جلسته وعلى رأسه قلنسوة مربعة بيضاء كقلانس العجم وعليه عمامـــة من المرعز مكللة بالدر واليواقيت والألماس وسائر نفائس الجواهر وفي عنقه قلائد در وجواهر على عضده كذلك . والدر والألماس واليواقيت مخيطة على رقعة مربوطة بعضده ، ويلوح على وجهـه اثر الكبر وتقدم الـسن ، حتى ان اسنانه المتقدمة ساقطة ، فهو ابن ثمانين عاما تقريباً

ولحيته سوداء مصبوغة بالوسمة (١) ولكنها حسنة ، وله حاجبان مقوسان مفروقان وعينان تميلان الى الصفرة قليلا الا انهما حسنتان . والحاصل ان صورته جميلة . فحينما وقع نظري عليه زالت هيبته عن قلبي ، وذهب عنى الرعب فخاطبني باللغة التركمانية (كخطابه الاول) وقال لي :

ـ كيف حال احمد خان ؟

فقلت : ـ بخير وعافية

فقال : ـ أتدري لم أردتك ؟

قلت : ـ لا !

فقال : ـ ان في مملكتي فرقتين تركستان وافغان يقولون للايرانيين (انتم كفار) فالكفر قبيح ولا يليق ان يكون في مملكتي قوم يكفر بعضهم بعضاً ، فالآن انت وكيل من قبلي : ترفع جميع المكفرات ، وتشهد على الفرقة الثالثة بما يلتزمونه . وكل مارأيت او سمعت تخبرني وتنقله لأحمد خان ...

ثم رخص لي بالخروج ، وأمر ان تكون دار ضيافتي عند اعتماد الدولة وان اجتمع بعد الظهر مع الملا باشي علي اكبر

فخرجت وانا في غاية الفرح والسرور ، لأن حكم العجم صار بيدي .

وأتيت دار الضيافة فجلست قليلا ؛ فجاء الاعتماد الى خيمته فدعاني الى الطعام ، وكان المهمندار نظر علي خان وفي صحبته عبدالكريم بك ، وابو ذر بك . كان هؤلاء في خدمتي

فلما اقبلت على الاعتماد وسلمت عليه رد علي السلام وهو جالس

---

(١) نبات يختضب بورقه ، ويقال هو العظلم وورق النيل

فانفعلت ووجدت في نفسي حيث لم يقم على قدميه ، فقلت في نفسي : اذا استقر بي الجلوس اقول للاعتماد : ان الشاه أمر برفع المكفرات ووكلني على ذلك ، فأول كفر ارفعه الكفر الصادر منك حيث قصدت تحقـــير العلماء وإهانتهم ، ولا ارضى برفعه إلا بقتلك . ثم اقوم من مجلسـه وأذهب الى الشاه لأخبره بالواقعة . هذا كله صورته في نفسي ، فلما استقر بي الجلوس نهض على قدميه ورحب بي ، واذا هورجل طويل جداً ابيض الوجه كبير العينين ، لحيته مصبوغة بالوسمة إلا انه رجل عاقل يفهم المحاورات ويعقل المذاكرات ، في طبعه لين ، وميل الى السنة والجماعة . فلما قام علمت انهذه عادتهم : يقومون بعد جلوس القادم ، فأكلت عنـده الغداء ، فجاء الأمر باجتماعنا مع المـلا باشي ، فركبت دابتي وجماعـة المهمندار يمشون امامي . فعارضني رجل طويل في الطريق ، زيه زي الافغان . فسلم علي ورحب بي فقلت له :

- من انت ؟

فقال : - أنا الملا حمزة القلنجاني مفتي الافغان

فقلت : - ياملا حمزة ، أتحسن العربية ؟

قال : - نعم

قلت : - ان الشاه أمر برفع كل مكفر عند الايرانيين ، فربما ينازعونني في شيء من المكفرات ، او انهم لايذكرون بعض المكفرات ونحن لا نعرف احوالهم ولا عباداتهم ، فما اطلعت على مكفر فاذكره حتى ارفعه

فقال : - ياسيدي إياك ان تغتر بقـول الشاه ، انه انما أرسلك الى الملا باشي ليباحثك في اثناء الكلام وفي خلال المباحثة فاحترز منهم !

فقلت : اني اخشى عدم انصافهم

قال : كن اميناً من هذه فان الشاه جعل على هـذا المجلس ناظـراً وعلى الناظر ناظراً آخر ، ثم على الآخر آخر . وكل واحد لم يدر بحال صاحبـه ، فلا ينقل للشاه غير الواقع

فلما قربت من خيمة الملا باشي خرج لأستقبالي راجلا ، فاذا هو رجل قصير اسمر له صداغ (١) الى نصف رأسه ، فنزلت عن دابتي فرحب بي واجلسني فوقه على المنصة وجلس كهيئة التلميذ ، فدار الكلام بيننا الى ان خاطب الملا باشي مفتي الافغان فقال له :

ـ رأيت اليوم هادي خوجه بحر العلم ؟

فقال : نعم

وهادي خوجه هذا قاضي بخاري ، لقبـه بحر العلم ، جاء الى أوردي الشاه(اي الى المعسكر) قبل مجيئي باربعة ايام ومعه ستة من علماء ما وراء النهر (٢) فقال الملا باشي :

ـ كيف يسوغ له ان يلقب ببحر العلم وهو لا يعرف من العلم شيئاً ، فوالله لو سألته عن دليلين في خلافة علي لما استطاع ان يجيب عنهما ، بل ولا الفحول من اهل السنة (وكرر الكلام ثلاث مرات) فقلت له :

ـ وما هذان الدليلان اللذان لا جواب عنهما ؟

---

(١) سمة في الصدغ

(٢) هو في اصطلاح السلف ماوراء نهر جيحون الى شرقيه وكان يسمى بلاد الهياطلة . فسمى في الاسلام ماوراء النهر . اما الذي يلي جيحون من غربيه فقاطعتا خراسان وخوارزم

قال : قبل تحرير البحث أسألك هل قوله ﷺ لعلي (انت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا انه لا نبي من بعدى ، ، ثابت عندكم ؟

فقلت : نعم انه حديث مشهور

فقال : هذا الحديث بمنطوقه ومفهومه يدل دلالة صريحة على ان الخليفة بالحق بعد النبي ﷺ علي بن ابي طالب

قلت : ماوجه الدليل من ذلك ؟

قال : حيث اثبت النبي لعلي جميع منازل هارون ولم يستثن إلا النبوة ـ والاستثناء معيار العلوم ـ فثبتت الخلافة لعلي لأنها من جملة منازل هارون . فانه لو عاش لكان خليفة عن موسى

فقلت : صريح كلامك يدل على ان هذه القضية موجبة كلية فما سور هذا الايجاب الكلي ؟

قال : الاضافة التي في الاستغراق بقرينة الاستثناء

فقلت : اولا ان هذا الحديث غير نص جلى وذلك لأختلاف المحدثين فيه ، فمن قائل انه صحيح ومن قائل انه حسن ، ومن قائل انه ضعيف ، حتى بالغ ابن الجوزي فادعى انه موضوع ، فكيف تثبتون به الخلافة وانتم تشترطون النص الجلي ؟!

فقال : نعم ، نقول بموجب ما ذكرت ، وان دليلنا ليس هذا وانما هو قوله ﷺ (سلموا على علي بأمرة المؤمنين) وحديث الطائر . ولأنكم تدعون انهما موضوعان فكلامي في هذا الحديث معكم ، لم لم تثبتوا انتم الخلافة لعلي به !

قلت : هذا الحديث لا يصلح ان يكون دليلا .. من وجوه : منها ان الاستغراق ممنوع ، إذ من جملة منازل هارون كونه نبياً مع موسى ، وعلي ليس بنبي باتفاق منا ومنكم ، لا مع النبي ﷺ ولا بعده ، فلو كانت المنازل الثابتة لهارون - ماعدا النبوة بعد النبي ﷺ - ثابتة لعلي لأقتضى ان يكون علي نبياً مع النبي ﷺ لأن النبوة معه لم تستثن وهي من منازل هارون عليه السلام وانما المستثنى النبوة بعده وايضاً من جملة منازل هارون كونه اخاً شقيقاً لموسى ، وعلي ليس بأخ ، والعام اذا تخصص بغير الاستثناء صارت دلالته ظنية ، فليحمل الكلام على منزلة واحدة كما هو ظاهر التاء التي للوحدة فتكون الاضافة للعهد وهو الأصل فيها ، و (إلا) في الحديث بمعنى (لكن) كقولهم : فلان جواد إلا انه جبان ، اي لكنه فرجعت القضية مهملة يراد منها بعض غير معين فيها ، وانما تعينه من خارج ، والمعين هو المنزلة المعهودة حين استخلف موسى هارون على بني اسرائيل ، والدال على ذلك قوله تعالى (اخلفني في قومي) ومنزلة علي هي استخلافه على المدينة في غزوة تبوك (١)

فقال الملا باشي والاستخلاف يدل انه افضل وانه الخليفة بعد

فقلت : لو دل هذا على ماذكرت لأقتضى ان ابن ام مكتوم خليفة بعد النبي ﷺ لأنه استخلفه على المدينة ، واستخلف ايضاً غيره ، فلم خصصتم علياً بذلك دون غيره مع اشتراك الكل في الاستخلاف ؟ وايضاً لو كان هذا من باب الفضائل لما وجد علي في نفسه وقال (اتجعلني مع النساء والاطفال

---

(١) اي كاستخلاف موسى أخاه هارون لما ذهب الى الجبل ليعود بالالواح

والضعفة ؟) فقال النبي ﷺ تطييباً لنفسه (اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟)

فقال : قد ذكر في اصولكم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

قلت : اني لم اجعل خصوص السبب دليلا وانما هو قرينة تعين ذلك البعض المهم

فانقطع ...

ثم قال : عندي دليل آخر لايقبل التأويل ، وهو قوله تعالى (قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ، ونساءنا ونساءكم ، وانفسنا وانفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)

قلت له : ماوجه الدليل من هذه الآية ؟

فقال : انه لما اتى نصارى نجران للمباهلة ، احتضن النبي ﷺ الحسين وأخذ بيد الحسن ، وفاطمة من ورائهم وعلي خلفها ، ولم يقدم الى الدعاء إلا الأفضل

قلت : هذا من باب المناقب ، لا من باب الفضائل ، وكل صحابي اختص بمنقبة لاتوجد في غيره ، كما لايخفى على من تتبع كتب السير . وايضاً ان القرآن نزل على اسلوب كلام العرب ، وطرز محاوراتهم ، ولو فرض ان كبيرين من عشيرتين وقع بينهما حرب وجدال ، يقول احدهما للاخر : ابرز انت وخاصة عشيرتك ، وابرز انا وخاصة عشيرتي ، فنتقابل ولا يكون معنا من الاجانب أحد ، فهذا لايدل على انه لم يوجد مع الكبيرين اشجع

من خاصتها . وايضاً الدعاء بحضور الاقارب يقتضي الخشـوع المقتضى لسرعة الاجابة

فقال : ولا ينشأ الخشوع إذ ذاك إلا من كثرة المحبة

فقلت : هذه محبة مرجعها الى الجبلة والطبيعة ، كمحبة الانسان نفسه وولده اكثر ممن هو افضل منه ومن ولده بطبقات فلا يقتضي وزراً ولا اجراً انما المحبة المحدودة التي تقتضي احد الأمرين المتقدمين انما هي المحبة الاختيارية

فقال : وفيها وجه آخر يقتضي الافضلية ، وهو حيث جعل نفسه ﷺ نفس علي ، إذ في قوله (ابناءنا) يراد الحسن والحسين ، وفي (نساءنا) يراد فاطمة وفي (انفسنا) لم يبق إلا علي والنبي ﷺ

فقلت : الله اعلم انك لم تعرف الأصول ، بل ولا العربية ، كيف وقد عبر بأنفسنا و (الأنفس) جمع قلة مضافا الى (نا) الدالة على الجمع ومقابلة الجمع بالجمع تقتضي تقسيم الآحاد ، كما في قولنا (ركب القوم دوابهم) أي ركب كل واحد دابته ، وهذه مسألة مصرحة في الأصول ، غاية الأمر انه اطلق الجمع على مافوق الواحد وهو مسموع كقوله تعالى (أولئك مبرءون مما يقولون) أي عائشة وصفوان (رض) ، وقوله تعالى (فقد صغت قلوبكما) ولم يكن لهما إلا قلبان ، على ان اهل الميزان (١) يطلقون الجمع في التعاريف على مافوق الواحد ، وكذلك اطلق الأبناء على الحسن والحسين والنساء على فاطمة فقط مجازاً ، نعم لو كان بدل انفسنا (نفسي)

(١) اي علم المنطق

لربما كان له وجه مايحسب الظاهر ، وايضاً لو كانت الآية دالة على خلافة علي لدلت على خلافة الحسن والحسين وفاطمة مع انه بطريق الاشتراك ولا قائل بذلك لأن الحسن والحسين إذ ذاك صغيران وفاطمة مفطومة كسائر النساء عن الولايات ، فلم تكن الآية دالة على الخلافة

فانقطع ...

ثم قال ـ عندى دليل آخر وهو قوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) اجمع أهل التفسير على انها نزلت في علي حين تصدق بخاتمه على السائل وهو في الصلاة و (انما) للحصر و (الولي) بمعنى (الأولى منكم بالتصرف)

فقلت : لهذه الآية عندي اجوبة كثيرة

وقبل ان اشرع في الأجوبة قال بعض الحاضرين من الشيعة باللغة الفارسية يخاطب الملا باشي بشيء معناه : اترك المباحثة مع هذا فانه شيطان مجسم وكلما زدت في الدلائل وأجابك عنها انحطت منزلتك

فنظر الي وتبسم وقال :

ـ انك رجل فاضل ، تجيب عن هذه وعن غيرها ولكن كلامي مع بحر العلم ، فانه لايستطيع ان يجيب

فقلت : الذي كان في صدر كلامك ان فحول اهل السنة لايستطيعون الجواب ، فهذا الذي دعاني الى المعارضة والمحاورة

فقال : انا رجل اعجمي ، ولا اتقن العربية فربما صدر مني لفظ غير مقصود لي ...

ثم قلت له: اريد ان اسألك عن مسألتين لا تستطيع أهـل الشيعة الجواب عنهما

فقال: وما هما؟

قلت: الاولى: كيف حكم الصحابة عند الشيعة؟

فقال: أرتدوا (إلا خمسة: علياً والمقـداد واباذر وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر) حيث لم يبايعوا علياً على الخلافة

قلت: ان كان الامر كذلك فكيف زوج علي بنته ام كلثوم من عمـر ابن الخطاب؟

فقال: انه مكره!

قلت: والله انكم اعتقدتم في علي منقصـة لا يرضى بها أدنى العرب، فضلا عن بنى هاشم الذين هم سادات العرب واكرمها أرومـة، وافضلها جرثومة واعلاها نسباً، واعظمها مروءة وحمية واكثرها نعوتا سنيـة وان أدنى العرب يبذل نفسه دون عرضه، ويقتل دون حرمه، ولا تعـز نفسه على حرمه واهله، فكيف تثبتون لعلي، وهو الشجاع الصنديد ليث بنى غالب سد الله في المشارق والمغارب، مثل هذه المنقصة التي لا يرضى بها اجلاف العرب؟ بل كم رأينا من قاتل دون عياله فقتل

قال: يحتمل ان تكون زفت لعمر جنية تصورت بصورة أم كلثوم؟

قلت: هذا اشنع من الاول، فكيف يعقل مثل هذا؟ ولو فتحنا هذا الباب لأنسد جميع ابواب الشريعة حتى لو ان الرجل جاء الى زوجته لأحتمل

ان تقول : انت جنى تصورت بصورة زوجي فتمنعه من الأتيان اليها . فان اتى بشاهدين عدلين على انه فلان ، لأحتمل ان يقال فيهما : انهما جنيان تصورا بصورة هذين العدلين ، وهلم جرا ... ويحتمل ان يقتل الانسان احداً ، او يدعى عليه بحق ، فله ان يقول ليس المطالب أنا في هذه الحادثة بل ويحتمل ان يكون جنياً تصور بصورتي ويحتمل ان يكون جعفر الصادق - الذي تزعمون ان عبادتكم موافقة لمذهبه - جنياً تصور بصورته والقى اليكم هذه الاحكام الثابتة ...

ثم قلت له : ماحكم افعال الخليفة الجائر ؟ هل هي نافذة عند الشيعة ؟

فقال : لاتصح ولا تنفذ

فقلت : انشدك الله من أي عشيرة أم محمد بن الحنفية بن علي بن ابي طالب ؟

فقال : من بنى حنيفة

فقلت : من سبى بنى حنيفة ؟

قال : لا أدري (وهو كاذب)

فقال بعض الحاضرين من علمائهم :

- سباهم ابو بكر (رضى الله تعالى عنه)

فقلت : كيف ساغ لعلي ان يأخذ جارية من السبي ويستولدها ، والامام - على زعمكم - لاتنفذ احكامه لجوره والاحتياط في الفروج امر مقرر !

فقال : لعله استوهبها من اهلها ، يعني زوجوه بها

قلت : يحتاج هذا الى دليل

فانقطع ... والحمد لله

ثم قلت : انما لم آتك بحديث او آية ، لأني مهما بالغت فى صحة الحديث اقول (رواه أهل الكتب الستة وغيرهم) فتقول : انا لا اقول بصحتها ، وشرط الدليل ان يتفق عليه الخصمان . ولو اتيتك بآية وقلت (اجمع اهل التفسير على ان حكمها كذا وانها نزلت في شأن ابى بكر) قلت اجماع اهل التفسير لايكون حجة علي ، وتذكر تأويلا بعيداً وتقول : الدليل اذا تطرقه الاحتمال بطل الاستدلال ، فهذا الذي دعانى الى ترك الاستدلال بالآية او الحديث

ثم ان الشاه اخبر بهذه المباحثة طبق ماوقع ، فامر ان يجتمع علماء ايران وعلماء الافغان ، وعلماء ماوراء النهر ، ويرفعوا المكفرات ، واكون ناظراً عليهم ، ووكيلا عن الشاه وشاهداً على الفرق الثلاث بما يتفقون عليه

فخرجنا نشق الخيام ، والافغان والأزبك والعجم يشيرون الي بالأصابع وكان يوماً مشهودا .

المؤتمر في يومه الاول

اجتمع تحت المسقف الذي وراء ضريح الامام علي (رض) علماء ايران وهم نحو سبعين عالما ، مافيهم سني إلا مفتي اردلان (١) فطلبت دواة وقرطاساً وكتبت المشهورين منهم وهم :

١ ـ الملا باشي ، علي اكبر
٢ ـ مفتي ركاب ، أقا حسين
٣ ـ الملا محمد ، امام لاهجان
٤ ـ أقا شريف ، مفتي مشهد الرضا
٥ ـ ميرزا برهان ، قاضي شروان
٦ ـ الشيخ حسين ، المفتي بأرومية
٧ ـ ميرزا ابو الفضل ، المفتي بقم
٨ ـ الحاج صادق ، المفتي بجام
٩ ـ السيد محمد مهدي ، امام اصفهان
١٠ ـ الحاج محمد زكي مفتي كرمانشاه
١١ ـ الحاج محمد التمامي ، المفتي بشيراز
١٢ ـ ميرزا أسد الله ، المفتي بتبريز
١٣ ـ الملا طالب ، المفتي بمازندران
١٤ ـ الملا محمد مهدي ، نائب الصدارة بمشهد الرضا
١٥ ـ الملا محمد صادق ، المفتي بخلخال
١٦ ـ محمد مؤمن ، المفتي بأستر آباد
١٧ ـ السيد محمد تقي ، المفتي بقزوين
١٨ ـ الملا محمد حسين ، المفتي بسبزوار
١٩ ـ السيد بهاء الدين ، المفتي بكرمان
٢٠ السيد احمد ، المفتي الشافعي بأردلان ... وغيرهم من العلماء

ثم جاء علماء الافغان فكتبت اسماءهم وهم :

---

(١) من ولايات ايران الغربية واهلها من الكرد وفي شمالها اذربيجان وفي غربها بلاد الكرد العثمانية وفي جنوبها لارستان وفي شرقها عراق العجم ، وكانت تنقسم الى قسمين شمالي وقاعدته مدينة (سنا) وجنوبي يسمى كرمانشاه وقاعدته مدينة كرمانشاه

١ - الشيخ الفاضل الملا حمزة القلنجاني ٤ - الملا دنيا الخلفي ، الحنفي
الحنفي مفتي الافغان ٤ - الملا نور محمد الافغاني القلنجاني
٢ - الملا امين الافغاني القلنجاني الحنفي
ابن الملا سليمان قاضي الافغان ٦ - الملا عبد الرزاق الافغاني القلنجاني
٣ - الملا طه الافغاني المدرس الحنفي
بنادر آباد الحنفي ٧ - الملا ادريس الافغاني الابدالي الحنفي

ثم بعد زمان جاء علماء ماوراء النهر وهم سبعة يتقدمهم شيخ جليل عليه المهابة والوقار وعليه عمه مدورة تخيل للناظر انه ابو يوسف تلميذ ابي حنيفة رحمهما الله ، فسلم عليهم واجلسوه جهة يميني ، إلا ان بيني وبينه نحو خمسة عشر رجلا ، واجلسوا الافغان جهة شمالي ، وكذا بيني وبينهم نحو خمسة عشر رجلا ، وذلك من مكر العجم ودهائهم ، خافوا ان ألقنهم بعض الكلمات او اشير اليهم فكتبت اسماءهم وهم

١ - العلامة هادي خوجة الملقب ببحر العلم ابن علاء الدين البخاري القاضي ببخاري الحنفي
٢ - مير عبدالله صدور البخاري الحنفي
٣ - قلندر خوجة البخاري الحنفي
٤ - ملا أميد صدور البخاري الحنفي
٥ - پادشاه مير خوجه البخاري الحنفي
٦ - ميرزا خوجه البخاري الحنفى
٧ - الملا ابراهيم البخاري الحنفي

فلما استقر بهم الجلوس خاطب الملا باشي بحر العلم فقال له :
- أتعرف هذا الرجل ؟ (وهو يعنيني)
فقال : لا
قال : هذا من فضلاء وعلماء أهل السنة ، الشيخ عبدالله افندي ، طلبه

الشاه من الوزير احمد باشا ليحضر هذا المجلس فيكون بيننا حكما ، وهو وكيل عن الشاه فاذا اتفق رأينا على حكم شهد علينا كلنا فالآن بين لنا الآمور التي تكفرونتا بها حتى نرفعها بحضوره وأما في الحقيقة فلسنا بكفار عند ابى حنيفة ، قال فى (جامع الأصول) : « مدار الاسلام على خمسة مذاهب» وعد الخامس مذهب الامامية . وكذا صاحب (المواقف) عد الامامية من الفرق الاسلامية . وقال ابو حنيفة في (الفقه الاكبر) : « لا نكفر أهل القبلة » وقال السيد فلان : (وصرح بأسمه إلا انى نسيته) في شرح هداية الفقه الحنفي « والصحيح ان الامامية من الفرق الاسلامية » لكن لما تعقب متأخروكم كفرونا . كما تعقب المتأخرون منا فكفروكم ، وإلا فلا أنتم ولا نحن كفار . ولكن بين لنا الامور التي ذكرها متأخروكم فكفرونا بها لكي نرفعها

فقال هادي خوجة :

ـ انتم تكفرون بسبكم الشيخين

فقال الملا باشى : رفعنا سب الشيخين

فقال : وتكفرون بتضليلكم الصحابة وتكفيركم إياهم

فقال الملا باشي : الصحابة كلهم عدول ، رضى الله عنهم ورضوا عنه

فقال : وتقولون بحل المتعة

فقال : هي حرام لايقبلها الا السفهاء منا

فقال بحر العلم : وتفضلون علياً على ابى بكر وتقولون : انه الخليفة الحق بعد النبى ﷺ

فقال الملا باشي : أفضل الخلق بعد النبي ﷺ ابو بكر بن ابى قحافة فعمر بن الخطاب فعثمان بن عفان فعلي بن ابى طالب رضى الله عنهم ، وان خلافتهم على هذا الترتيب الذي ذكرناه في تفضيلهم

فقال بحر العلم : فما أصولكم وعقيدتكم ؟

فقال الملا باشي : أصولنا أشاعرة على عقيدة ابى الحسن الاشعري

فقال بحر العلم : أشرط عليكم ان لا تحلوا حراما معلوماً من الدين بالضرورة وحرمته مجمع عليها ، ولا تحرموا حلالا مجمعاً عليه معلوماً حله بالضرورة

فقال الملا باشي : قبلنا هذا الشرط

ثم شرط عليهم بحر العلم شروطا لم تكن مكفرة كبعض ماتقدم فقبلوها

ثم ان الملا باشى قال لبحر العلم :

ـ فاذا نحن التزمنا جميع ذلك تعدنا من الفرق الاسلامية ؟

فسكت بحر العلم ، ثم قال :

سب الشيخين (١) كفر

فقال الملا باشى : نحن رفعنا سب الشيخين ، ورفعنا كذا وكذا (الى آخر الشروط المتقدمة) أفتعدنا من الفرق الاسلامية حقاً ام تعتقداننا كفاراً ؟

فسكت بحر العلم ، ثم قال :

ـ سب الشيخين كفر

---

(١) يقصد بسب الشيخين ابي بكر وعمر (رض)

فقال : ألم نرفعه ؟

فقال بحر العلم : وماذا رفعتم ايضاً ؟

فقال : رفعنا كذا وكذا (الى آخر ماتقدم) فهل تعدنا والحالة هذه من الفرق الاسلامية ؟

فقال بحر العلم : سب الشيخين كفر

ومراد بحر العلم ان من وقع منه سب الشيخين لاتقبل توبته على مذهب الحنفية وان هؤلاء الاعجام وقع منهم السب اولا ، فرفعهم السب في هذا الوقت لاينفعهم شيئاً

فقال الملا حمزة مفتي الافغان :

- ياهادي خوجه ، أعندك بينة على ان هؤلاء قبل هذا المجلس صدر منهم سب الشيخين ؟

قال : لا

فقال الملا حمزة : وهم قد صدر منهم التزام بانه لايقع منهم في المستقبل فلم لم تعدهم من الفرق الاسلامية ؟

قال بحر العلم : اذا كان الأمر كذلك فهم مسلمون لهم ما لنا وعليهم ما علينا

فقاموا كلهم وتصافحوا ، ويقول احدهم للاخر : (اهلا بأخي)

وأشهدني الفرق الثلاث على ماوقع منهم والتزموه

ثم انقضى المجلس قبيل المغرب من يوم الاربعاء لأربع وعشرين خلون من شوال فنظرت فاذا الواقفون على رؤسنا والمحيطون بنا من العجم مايزيد على عشرة آلاف

ولما جاء الاعتماد (١) من عند الشاه ـ وكان قد مضى من الليل اربع ساعات كما هي العادة ـ قال لي :

ـ ان الشاه شكر فعلك ، ودعا لك وهو يسلم عليك ويرجو منك ان تحضر معهم غداً في المكان الاول ، لأني أمرتهم ان يكتبوا جميع ماقرروه والتزموه في رقعة ، ويضع كل منهم خاتمه تحت اسمه وارجو منك ان تكتب شهادتك فوق الرقعة في صدرها بانك شهدت على الفرق الثلاث بما التزموه وقرروه وتضع خاتمك تحت اسمك

فقلت : حباً وكرامة

المؤتمر فى يومه الثانى

وقبل ظهر يوم الخميس لخمس وعشرين خلون من الشهر المذكور (شوال ١١٥٦) جاء الأمر بان نحضر كانا في المكان الاول ، فاجتمعنا فيه كلنا والعجم متصلة من خارج القبة الى باب الضريح على القدم بازدحام عظيم يبلغ عددهم نحو الستين الفاً ، فلما جلسنا ، اتوا بجريدة طولها اكثر من سبعة اشبار سطورها طوال الى ثلثيها والثلث الثالث مقسم اربعة اقسام بين كل قسم وقسم بياض نحو اربع اصابع اواكثر ، لكن السطور اقصر من السطور الاول بكثير . فامر الملا باشى مفتي الركاب أقا حسين ان يقرأها قائما على رؤوس الاشهاد ، وكان رجلا طويلا بائناً فاخذ الجريدة ـ وهي مكتوبة باللغة الفارسية ـ وكان مضمونها :

---

(١) هو اعتماد الدولة الذي كان الشيخ عبدالله السويدي في ضيافته

ان الله اقتضت حكمته ارسال الرسل فلم يزل يرسل رسولا بعد رسول حتى جاءت نبوة نبينا محمد المصطفى ﷺ

ولما توفى ـ وكان خاتم الانبياء والمرسـلين ـ اتفقت الاصحاب رضى الله عنهم على افضلهم وأخيرهم وأعلمهم : ابى بكر الصـديق ابن ابى قحافة رضى الله تعالى عنه فاجمعـوا على بيعته فبايعه كلهم حتى الامام علي بن ابى طالب بطوعه واختياره ومن غير جبر ولا اكراه فتمت له البيعة والخلافة واجماع الصحابة (رض) حجة قطعية ، وقـد مدحهم الله في كتابه المجيـد فقال : (والسابقون الأولون من المهاجرين والانصار) الآية ، وقال الله تعالى (لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشـجرة) الآيـة وكانوا إذ ذاك سبعمائة صحابى وكلهم حضروا بيعة الصديق ، وقال ﷺ : (اصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)

ثم عهد ابكر الصديق بالخلافة لعمر بن الخطاب فبايعـه الصحابة كلهم حتى الامام علي بن ابى طالب ، فاتفق رأيهم على عثمان بن عفان

ثم استشهد في الدار ولم يعهد فبقيت الخلافة شاغرة فاجتمع الصحابة في ذلك العصر على علي بن ابى طالب

وكان هؤلاء الاربعة في مكان واحد وفي عصر واحـد ولم يقع بينهم تشاجر ولا تخاصم ولا نزاع ، بل كان كل منهم يحب الآخر ويمدحه ويثني عليه ، حتى ان علياً (رض) سئل عن الشيخين فقال : هما امامان عادلان قاسطان ، كانا على حق وماتا عليه ، وان ابا بكر لما ولى الخـلافة قال : اتبايعونى وفيكم علي بن ابى طالب ؟

فاعلموا ايها الايرانيون ان فضلهم وخلافتهم على هذا الترتيب فمن سبهم او انقصهم فماله وولده وعياله ودمه حلال للشاه وعليه لعنة الله وملائكته والناس اجمعين

وكنت شرطت عليكم حين المبايعة في صحراء مغان عام ١١٤٨ رفع السب فالآن رفعته ، فمن سب قتلته وأسرت اولاده وعياله ، وأخذت امواله . ولم يكن في نواحي ايران ولا في اطرافها سب ولا شيء من هذه الامور الفظيعة وانما حدثت ايام الخبيث الشاه اسماعيل الصفوي (١) ولم يزل اولاده يقفون اثره حتى كثر السب وانتشرت البدع وأتسع الخرق ، منذ عام ثمانمائة وسبعة وخمسين فيكون لظهور هذه القبائح ثلاثمائة سنة

(ثم انه تكلم كلاماً كثيراً لا محل لذكره هاهنا . والى هنا انتهت السطور الطوال)

وقد اعترضت على بعض ماجاء في هذه الرقمة ، منها اني قلت للملاباشي لفظة (النصب) المذكورة في خلافة سيدنا عمر رض بدلها لفظة (العهد) لأن في لفظة النصب شائبة انهم ناصبة وانتم تفسرون الناصبة بمن نصب نفسه لبغض علي ، فعارضني بعض الحاضرين وقال :

(١) ابن الشيخ حيدر بن الشيخ جنيد بن الشيخ ابراهيم بن الخوجة علي بن الشيخ موسى بن الشيخ صفي الدين اسحاق الاردبيلي . ولد شاه اسماعيل سنة ٨٩٢ وأسس الدولة الصفوية وهو في مقتبل العمر واستولى على بغداد سنة ٩١٥ واعلن في سنة ٩١٦ للمرة الاولى في تاريخ ايران ان مذهبها الرسمي مذهب الشيعة . وحاربه السلطان سليم سنة ٩٣٠ فانتصر عليه في معركة تشالديران التي جرح فيها شاه اسماعيل وهرب ، ومات بعد هذه الهزيمة بعشر سنوات (٩٣٠) عن ٣٨ عاما قضى ٢٤ عاما منها في الحكم ودفن في اردبيل بجانب ابيه

هذا خلاف ظاهر اللفظ ، والمعنى الذي ذكرته لم يخطر ببال أحد ولا يقصده احد واخشى ان تثور الفتنة بسببك

ووافقه الملا باشى على ذلك ، فسكت

ومنها اني قلت للملا باشي

- ان قول علي في حق الشيخين ، هما إمامان ... الخ . انتم تحملونه على معان لاتليق بحق الشيخين

فعارضني ذلك الرجل الاول بمثل ما مر

ومنها انى قلت له :

ان قول ابى بكر في حق علي حين المبايعة لم يثبت عندنا ، بل هو موضوع فانا اذكر لكم قول علي في مدح الشيخين غير ما ذكرتموه مما هو صريح في تعظيمهما واذكر لكم مدح ابى بكر لعلي غير ماذكرتموه مما هو ثابت

فعارضني ذلك الرجل ايضاً بمثل ماتقدم ووافقه الملا باشى على ذلك

هذا والسطور القصار التي تلى كلام الشاه مضمونها على لسان الايرانيين وهو :

(إنا قد التزمنا رفع السب وان الصحابة فضلهم وخلافتهم على هذا الترتيب الذي هو في الرقعة ، فمن سب منا او قال خلاف ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ، وعلينا غضب نادر شاه ، ومالنا ودماؤنا واولادنا حلال له

ثم انهم وضعوا خواتمهم في البياض الذي تحت كلامهم

والسطور القصار التي تلي هذه عن لسان اهل النجف وكربلاء والحلة والخوارزم (ومضمونها عين الاول) ثم وضعوا خواتمهم تحت البياض المذكور ، ومنهم السيد نصر الله المعروف بأبن قطة والشيخ جواد النجفي الكوفي وغيرهم

والسطور القصار التي تلي ذلك عن لسان الافغانيين ومضمونها :

(ان الايرانيين اذا التزموا ماقرروه ولم يصدر منهم خلاف ذلك فهم من الفرق الاسلامية لهم ما للمسلمين وعليهم ماعليهم)

ثم وضعوا خواتمهم في البياض الذي تحت اسمائهم

والتي تلي ذلك عن لسان علماء ماوراء النهر ومضمونها عين ماقاله الافغانيون ووضعوا خواتمهم تحت

ثم ان هذا الفقير كتب شهادته فوق صدر الورقة بأني :

(شهدت على الفرق الثلاث بما قرروه والتزموه واشهدوني عليهم)

ووضعت خاتمي تحت اسمي فوق ذلك

وكان الوقت وقتاً مشهوداً من عجائب الدنيا ، وصار لأهل السنة فرح وسرور ، لم يقع مثله في العصور ، ولا تشبهه الاعراس والاعياد والحمد لله على ذلك

ثم ان الشاه بعث حلويات في صواني من فضة ومع ذلك مبخرة من الذهب الخالص مرصعة بجميع نفائس الجواهر مما لايتقوم ، وفيها من العنبر ماهو قدر الفهر (١) فتبخرنا واكلنا ثم ان الشاه وقف تلك المبخرة على

---

(١) الفهر : الحجر ملء الكف

حضرة سيدنا علي

وخرجنا ، فاذا الناس من العجم والعرب والتركستان والافغان لا يحصر عددهم إلا الله تعالى .

وكان خروجنا بعد الظهر يوم الخميس .

ثم أتى بي الشاه مرة أخرى ، فدخلت على تلك الحالة الأولى ، ولم يزل يأمرني بالتقدم حتى قربني منه اكثر من الأول ، فقال لي :

ـ جزاك الله خيراً، وجزى احمد خان خيراً ، فو الله ما قصر في إصلاح ذات البين، وإطفاء الفتنة، وحقن دماء المسلمين . أيد الله سلطان آل عثمان وجعل الله عزه ورفعته اكثر من ذلك .

ثم قال لي : يا عبد الله افندي لا تظن الشاهنشاه يفتخر بمثل ذلك وإنما هذا امر يسره الله تعالى ووفقني له حيث كان رفع سب الصحابة على يدي مع ان آل عثمان منذ كان السلطان سليم الى يومنا هذا ـ كم جهزوا عساكر وجنوداً ، وصرفوا أموالا ، وأتلفوا أنفساً، ليرفعوا السب فما توفقوا اليه. وأنا لله الحمد رفعته بسهولة . وهذه القبائح (كما تقدم) نشأت من الخبيث الشاه اسماعيل، أغواه أهل إلاهجان ولم تزل الى يومنا هذا .

فقلت له : إن شاء الله تعالى ترد العجم كلهم الى ما كانوا عليه أولا من كونهم أهل السنة والجماعة .

فقال :ـ إن شاء تعالى ، لكن على التدريج أولا فأولا . (ثم قال لي) : ياعبدالله افندي ، أنا لو افتخر لافتخرت بأني في مجلسي هذا عبارة عن سلاطين أربعة : فأنا سلطان إيران ، وسلطان تركستان ، وسلطان الهند ، وسلطان

الأفغان. ولكن هذا الأمر من توفيق الله تعالى، فأنا لي منة على جميع المسلمين حيث أني رفعت السب عن الصحابة . وأرجو أن يشفعوا لي .

ثم قال لي :- أريد أن أرسلك ، لعلمي أن أحمد خان بانتظارك . لكن ارجو أن تبقى غداً ، فاني أمرت أن نصلي الجمعة في جامع الكوفة ، وأمرت بأن يذكر الصحابة على المنبر على الترتيب ويدعى لأخي الكبير حضرة الخنكار سلطان آل عثمان قبلي ، ويذكر بجميع الألقاب الحسنة ثم يدعى للاخ الأصغر (يعني نفسه) لكن يدعي لي أقل من دعاء الخنكار ، لأن الواجب على الأخ الأصغر أن يوقر أخاه الأكبر . (ثم قال) . وفي الحقيقة والواقع هو الأكبر وأجل مني ، لأنه سلطان ابن سلطان ، وانا جئت الى الدنيا ولا أب لي سلطان ولا جد ، ثم اذن لي بالخروج فخرجت من عنده ، فصار ذكر الصحابة ومناقبهم ومفاخرهم في كل خيمة وعلى لسان الأعاجم كلهم ، بحيث يذكرون لأبي بكر وعمر وعثمان (رضى الله تعالى عنهم) مناقب وفضائل يستنبطونها من الآيات والأحاديث مما يعجز عنه فحول اهل السنة . ومع ذلك يسفهون رأي العجم والشاه اسماعيل في سبهم .

*

وصبيحة الجمعة ارتحل الى الكوفة ، وهي عن النجف مقدار فرسخ وشيء ، فلما قرب الظهر امر مؤذنيه فأعلنوا بأذان الجمعة ، وجاء الأمر بحضورها . فقلت لاعتماد الدولة :

- إن صلاة الجمعة لا تصح عندنا في جامع الكوفة . أما عند أبي حنيفة فلعدم المصر ، وأما عند الشافعي فلعدم الأربعين من اهل البلد .

فقال :- المراد حضورك هناك حتى تسمع الخطبة ، فان شئت صليت ، وإن شئت لا .

فذهبت الى الجامع ، فرأيته غاصاً بالناس فيه نحو خمسة آلاف رجل وجميع علماء ايران والخانات حاضرون . وكان على المنبر أمام الشاه على مدد، فصارت مشورة بين الملا باشي وبين علماء كربلاء فأمر الملا باشي بانزال على مدد وصعد الكربلائي فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ثم قال: « وعلى الخليفة الأول من بعده على التحقيق، ابي بكر الصديق رضي الله عنه. وعلى الخليفة الثاني الناطق بالصدق والصواب سيدنا عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ». لكنه كسر الراء من (عمر) مع أن الخطيب إمام في العربية، ولكنه قصد دسيسة لا يفهمها إلا الفحول، وهي أن منع صرف عمر إنما كان للعدل والمعرفة فصرفه هذا الخبيث قصداً الى أنه لا عدل فيه ولا معرفة، قاتله الله من خطيب وأخزاه، ومحقه وأذله في دنياه وعقباه . ثم قال: « وعلى الخليفة الثالث جامع القرآن، عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه . وعلى الخليفة الرابع ليث بني غالب، سيدنا علي بن ابى طالب . وعلى ولديه الحسن والحسين، وعلى باقي الصحابة والقرابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . اللهم ادم دولة ظل الله في العالم ، سلطان سلاطين بني آدم ، كيوان رفعتـه ، ومريخ جلادته ، ثانى اسكندر ذى القرنين ، سلطان البرين وخاقان البحرين ، خادم الحرمين الشريفين السلطان محمود خان ابن السلطان مصطفى خان، ايد الله خلافته وخلد سلطنته ، ونصر جيوشه الموحدين على القوم الكافرين بحرمة الفاتحة ». ثم دعا لنادر شاه دعاء أقل من ذلك، بعضه بالفارسية وبعضه بالعربية. ومضمون

الفارسية (اللهم أدم دولة من اضاءت به الشجرة التركمانية ، قاب الرياسة وجنكيز السياسة) واما التي بالعربية فهو (ملاذ السلاطين وملجأ الخوانين ظل الله في العالمين ، قران نادر دوران) ثم نزل فاقيمت الصلاة فتقدم ودخل في الصلاة فاسبل يديه وجميع من وراءه من علماء وخوانين واضعون ايمانهم على شمائلهم . فقرأ الفاتحة وسورة الجمعة ورفع يديه وقنت جهراً قبل الركوع ثم ركع وجهر بتسبيحات ثم رفع رأسه قائلا (الله اكبر) بلا (سمع الله لمن حمده وربنا لك الحمد) فقنت في اعتداله ثانياً جهراً ، ثم سجد فقرأ تسبيحات السجود ومعها شيء آخر بأعلى صوته ثم رفع رأسه وجهر بين السجدتين ثم سجد ثانياً وجهر بالتسبيحات كالأول مع ماضم اليها من الأدعية ثم قام الى الركعة الثانية فقرأ الفاتحة وسورة المنافقين وفعل كفعله الاول وجلس للتشهد فقرأ شيئاً كثيراً ما فيه من تشهدنا إلا (السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته) وهذا ايضاً جهر به ثم سلم على اليمين فقط واضعاً يديه على رأسه

ثم جاءت من طرف الشاه حلويات كثيرة وحصلت إذ ذاك غلبة وازدحام بحيث وقعت عمامة الملا باشي من رأسه وجرحت سبابته فسألت :

ـ لم هذا الازدحام والمغالبة ؟

فقيل لي : ان الشاه اذا سمع بازدحامهم ومغالبتهم يحصل له انبساط وسروراً فلذا يتزاحمون ويتغالبون ..

ثم خرجنا فقال الاعتماد :

ـ كيف رأيت الخطبة والصلاة ؟

فقلت : اما الخطبة فلا كلام فيها واما الصلاة فهي خارجه عن المذاهب الاربعة على غير ماشرط عليهم من انهم لا يتعاطون امراً خارجاً عن المذاهب الاربعة فينبغي للشاه ان يؤدب على ذلك

فاخبر الشاه فغضب وأرسل مع الاعتماد يقول لي :

ـ اخبر احمد خان اني ارفع جميع الخلافات حتى السجود على التراب (١)

واجتمعت مع الملا باشي عصر يوم الجمعـــة وتذاكرنا في خصوص مذهب الجعفرية (مذهب جعفر الصادق) فقلت :

ـ ان المذهب الذي تتعبدون عليه باطل لا يرجع الى اجتهاد مجتهد

فقال هذا اجتهاد جعفر الصادق

فقلت : ليس لجعفر الصادق فيه شيء وانتم لاتعرفون مذهب جعفر الصادق . فان قلتم : إن مذهب جعفر الصادق تقية ، فلا أنتم ولا غيركم يعرف مذهبه. لاحتمال كل مسألة أن تكون تقية . فانه بلغني عنكم أن له في البئر اذا وقعت فيها نجاسة ثلاثة اقوال : احدها انه سئل عنها فقال : هي بحر لا ينجسه شيء . ثانيها انها تنزح كلها وثالثها ينزح منها سبعة دلاء او ستة فقلت لبعض علمائكم : كيف تصنعون بهذه الاقوال الثلاثة ؟ فقال : مذهبنا ان الانسان اذا صارت له اهلية الاجتهاد يجتهد فى اقوال جعفر الصادق فيصحح واحداً منها ، فقلت : وما يقول في الباقي ؟ قال : يقول انها تقيـــة فقلت : اذا اجتهد واحد فصحح غير هذا القول فما يقول في القول الذي صححه المجتهد

---

(١) اي السجود على التربة الحسينية ، فانه باطل لا دليل له في الشرع الشريف

الاول ؟ فقال : يقول انها تقية ! فقلت : اذن ضاع مذهب جعفر الصادق اذ كل مسألة تنسب له يحتمل ان تكون تقية اذ لاعلاقة تميز بين ماهو للتقية وبين غيره فانقطع ذلك العالم فما جوابك انت ؟

فانقطع هو ايضاً ، ثم قلت له :

- فان قلتم (ليس في مذهب جعفر الصادق تقية) فهو ليس المذهب الذي انتم عليه لأنكم كلكم تقولون بالتقية

فانقطع الملا باشي ، ثم ذكرت له دلائل غير هذا تدل على ان الذي في ايديهم ليس بمذهب جعفر الصادق

ثم اذن لي الشاه بالعودة الى بغداد ، وأرسل معي صورة الجريدة وصورة الخطبة ، فلأجل هذا الذي حدث عزمت على الحج ، اللهم يسر ذلك

تم ولله الحمد

مطبعة البصري — بغداد